تفسير القرآن الكريم

سورة آل‌عمران ٥-٧-١٤٠٤ ٣

دراسات الأستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

سورة آل‌عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل‌عمران

الم(١)

سورة آل‌عمران

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ(٢)

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- قوله تعالى اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قد مر الكلام فيه فى تفسير آية الكرسى، و تحصل من هناك أن المراد به بيان **قيامه تعالى أتم القيام على أمر الإيجاد و التدبير**، فنظام الموجودات بأعيانها و آثارها تحت قيمومة الله لا مجرد **قيمومة التأثير** كالقيمومة فى الأسباب الطبيعية الفاقدة للشعور بل **قيمومة حياة** تستلزم العلم و القدرة، فالعلم الإلهى نافذ فيها لا يخفى عليه شىء منها و القدرة مهيمنة عليها لا يقع منها إلا ما شاء وقوعه و أذن فيه،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

قيمومة الله

قيمومة التأثير
كالقيمومة في الأسباب الطبيعية الفاقدة للشعور

قيمومة حياة تستلزم العلم و القدرة

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- وِ لذلک عقبه بقوله بعد آيتين: إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فى الْأَرْضِ وِ لا فِى السَّماءِ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشَاءُ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- و لما كانت هذه الآيات الست فى أول السورة على طريق براعة الاستهلال مشتملة على إجمال ما تحتويه السورة من التفصيل- و قد مر ذكر غرض السورة- كانت هذه الآية بمنزلة تصدير الكلام بالبيان الكلى الذى يستنتج به الغرض،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦

سورة آل‌عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَينْ يَدَيْهِ وَ أَنزَلَ التَّوْرَئةَ وَ الْانجِيلَ(٣)

مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ أَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِايَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ(٤)

سورة آل‌عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يخَفَى عَلَيْهِ شىَءٌ فىِ الْأَرْضِ وَ لَا فىِ السَّمَاءِ(٥)

سورة آل‌عمران

هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ(٦)

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- كما أن الآيتين الأخيرتين أعنى قوله: إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ «إلخ» بمنزلة التعليل بعد البيان،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٦

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- و على هذا فالكلام التى يتم به أمر براعة الاستهلال هما الآيتانِ المتوسطتان أعنى قوله: نَزَّلَ عَلَيْکَ الْكِتابَ إلى قوله عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ.
- و على هذا فيعود المعنى إلى أنه يجب على المؤمنين أن يتذكروا أن الله الذى آمنوا به واحد فى ألوهيته قائم على الخلق و التدبير قيام حياة، لا يغلب فى ملكه و لا يكون إلا ما شاء و أذن فيه

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ۶

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- فإنهم إذا تذكروا ذلک علموا أنه هو المنزل للكتاب الهادى إلى الحق، و الفرقان المميز بين الحق و الباطل، و أنه إنما جرى فى ذلک على ما أجرى عليه **عالم الأسباب، و ظرف الاختيار**، فمن آمن فله أجره، و من كفر فإن الله سيجزيه لأنه عزيز ذو انتقام، و ذلک أنه الله الذى لا إله غيره حتى يحكم فى هذه الجهات، و لا يخفى عليه أمرهم، و لا يخرج عن إرادته و مشيئته فعالهم و كفرهم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٧

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- قوله تعالى: اللَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قد تقدم فى سورة الحمد بعض اَلكلاَم فى لفظ الجلالة، و أنه سواء أخذ من أله الرجل بمعنى تاه و وله أو من ألـه بمعنى عبد فلازم معناه الذات المستجمع لجميع صفات الكمال على سبيل التلميح.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٨

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- و قد تقدم بعض الكلام فى قوله تعالى: لا إلـهَ إلَّـا هُـوَ، فى قوله تعالى: «وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحـدٌ:» البقَـرة- ١۶٣، و ضمير هو و إن رجعَ إلى اسم الجَلالة لكن اسم الجلالـة لما كان علما بالغلبة يدل على نفس الذات من حيث إنه ذات و إن كان مشتملا على بعض المعانى الوصفية التـى يلمح باللام أو بالإطلاق إليها، فقوله: لا إلهَ إلَّا هُوَ، يدل على نفى حق الثبوت عن الآلهة التى تثبتَ منَ دون الله.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٨

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و أما اسم الحى فمعناه ذو الحياة الثابتة على وزان سائر الصفات المشبهة فى دلالتها على الدوام و الثبات.
- [فى معنى الحياة، و حياته تعالى.]
- و الناس فى بادئ مطالعتهم لحال الموجودات وجدوها على قسمين: قسم منها لا يختلف حاله عند الحس ما دام وجوده ثابتا كالأحجار و سائر الجمادات،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۸

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و قسم منها ربما تغيرت حاله و تعطلت قواه و أفعاله مع بقاء وجودها على ما كان عليه عند الحس، و ذلک كالإنسان و سائر أقسام الحيوان و النبات فإنا ربما نجدها تعطلت قواها و مشاعرها و أفعالها ثم يطرأ عليها الفساد تدريجا،

الميزان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۸

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و بذلک أذعن الإنسان بأن هناک وراء الحواس أمرا آخر هو المبدأ للإحساسات و الإدراکات العلمیة و الأفعال المبتنیة علی العلم و الإرادة و هو المسمی بالحیاة و یسمی بطلانه بالموت، **فالحیاة نحو وجود یترشح عنه العلم و القدرة.**

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۲۸

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- و قد ذكر الله سبحانه هذه الحياة فى كلامه ذكر تقرير لها، قال تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا:» الحديد- ١٧، و قال تعالى: «أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى:» فصلت- ٣٩ و قال تعالى: «وَ مَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ:» الفاطر- ٢٢، و قال تعالى: «وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ:» الأنبياء- ٣٠، فهذه تشمل حياة أقسام الحى من الإنسان و الحيوان و النبات.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٩

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و كذلک القول في أقسام الحياة، قال تعالى: «وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها»: يونس- ٧، و قال تعالى: «رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ:» المؤمن- ١١ و الإحياءان المذكوران يشتملان على حياتين:
- إحداهما: الحياة البرزخية،
- و الثانية:الحياة الآخرة،
- فللحياة أقسام كما للحى أقسام.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٩

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- و الله سبحانه مع ما يقرر هذه الحياة الدنيا يعدها فى مواضع كثيرة من كلامه شيئا رديا هينا لا يعبأ بشأنه كقوله تعالى: «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتاعٌ:» الرعد- ٢۶، و قوله تعالى: «تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا:» النساء- ٩۴، و قوله تعالى: «تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا:» الكهف- ٢٨، و قوله تعالى: «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ:» الأنعام- ٣٢، و قوله تعالى: «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ:» الحديد- ٢٠،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٩

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- فوصف الحياة الدنيا بهذه الأوصاف فعدها متاعا و المتاع ما يقصد لغيره، و عدها عرضا و العرض ما يتعرض ثم يزول، و عدها زينة و- الزينة- هو الجمال الذى يضم على الشىء ليقصد الشىء لأجله فيقع غير ما قصد و يقصد غير ما وقع، و عدها لهوا و- اللهو- ما يلهيک و يشغلک بنفسه عما يهمک، و عدها لعبا و اللعب هو الفعل الذى يصدر لغاية خيالية لا حقيقية، و عدها متاع الغرور و هو ما يغر به الإنسان.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٩

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- و يفسر جميع هذه الآيات و يوضحها قوله تعالى: «وَ ما هذه الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ:» العنكبوت- ۶۴، يبين أن الحياة الدنيا إنما تسلب عنها حقيقة الحياة أى كمالها فى مقابل ما تثبت للحياة الآخرة حقيقة الحياة و كمالها، و هي الحياة التي لا موت بعدها، قال تعالى: «آمنين لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى:» الدخان- ۵۶

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۹

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- ، و قال تعالى: لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فيها وَ لَدَيْنا مَزيدٌ:» ق- ٣٥، فلهم فى حياتهم الآخرة أن لا يعتريهم المَوت، و لا يعترضهم نقص فى العيش و تنغص، لكن الأول من الوصفين أعنى الأمن هو الخاصة الحقيقة للحياة الضرورية له.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٣٠

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- فالحياة الأخروية هى الحياة بحسب الحقيقة لعدم إمكان طرو الموت عليها بخلاف الحياة الدنيا، لكن الله سبحانه مع ذلک أفاد فى آيات أخر كثيرة أنه تعالى هو المفيض للحياة الحقيقية الأخروية و المحيى للإنسان فى الآخرة، و بيده تعالى أزمة الأمور، فأفاد ذلک أن الحياة الأخروية أيضا مملوكة لا مالكة و مسخرة لا مطلقة أعنى أنها إنما ملكت خاصتها المذكورة بالله لا بنفسها.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٣٠

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- و من هنا يظهر أن الحياة الحقيقية يجب أن تكون بحيث يستحيل طرو الموت عليها لذاتها و لا يتصور ذلک إلا بكون الحياة عين ذات الحى غير عارضة لها و لا طارئة عليها بتمليک الغير و إفاضته، قال تعالى: «وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذى لا يَمُوتُ:» الفرقان- ۵۸ و على هذا فالحياة الحقيقية هى الحياة الواجبة، و هى كون وجوده بحيث يعلم و يقدر بالذات.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۳۰

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- و من هنا يعلم: أن القصر فى قوله تعالى: «هُوَ الْحَىُّ لا إلهَ إِلَّا هُوَ» قصر حقيقى غير إضافى، و أن حقيقة الحياة الَّتى لا يشوبها موت و لا يعتريها فناء و زوال هى حياته تعالى.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٠

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ

- فالأوفق فيما نحن فيه من قوله تعالى: اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الآية، و كذا فى قوله تعالى: «الم اللَّهُ لا إِله إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ:» آل عمران- ١ أن يكون لفظ الحَى خَبرا بعد خبر فيفيد الحصر لأن التقدير، الله الحى فالآية تفيد أن الحياة لله محضا إلا ما أفاضه لغيره.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٣٠